في الواقع غير جيدة، كذلك قطَعُ الموسيقى والفن المنتج خلال عام هي أقل من أن تذكر أَو تتذكر. وفي أي الأحوال الحقيقة التي لا يمكن إغفالها هي أن التليفزيون حاضر في حياتنا، وهو متاح دوماً وجزء أساسي في حياة أطفالنا، وهم يشعرون أنه جذاب لهم جداً، بصرف النظر عما نعتقده نحن من حيث نوعية برامجه، والأطفال يشاهدونه بكم هائل من الساعات التي تسترعي الانتباه.. كل يوم.

ماذا يقلق المعلمين في موضوع التليفزيون والأطفال؟

إن المعلمين يشاطرون أولياء الأمور قلقهم وهمومهم بشأن طبيعة التليفزيون المنتشرة بشدة، وبشأن قدرته على جذب المشاهدين وإبقائهم أمامه، وكذا بشأن نوعية برامجه.

وبعيداً عن هذه الملاحظات العامة، وأعمق منها، نجد أن المربين ينظرون إلى التليفزيون على أنه مشكلة حقيقية في حياة الأطفال في أمور واضحة ومحددة، أمور تتعلق بالتعلم وبالتفكير، فمدرسو المرحلة الابتدائية خاصة يشتكون من أن تلاميذ مدارسهم لا يمكنهم الجلوس هادئين في فصولهم هذه الأيام، وأن فترات انتباههم قد أصبحت أقصر كثيراً مما كانت

عليه قبل ذلك، إضافة إلى أن هؤلاء الأولاد الصغار قد أصبح أمر السيطرة عليهم من الصعوبة بمكان، كما أن ضبطهم والسيطرة عليهم في الفصول بات مختلفاً عن ذي قبل. والواقع أن هذه الادعاءات تستحق المناقشة، كما أن اللوم الذي ينبغي أن يوجه للتليفزيون بخصوصها ينبغي معرفة مدى عدالته.

إن نفراً قليلاً من المعلمين الذين ألتقي بهم متأكدون أن الأطفال ذوي فترات الانتباه القصيرة في الفصول هم الذين يربطون بينها وبين مشاهدتهم الكثيرة للتليفزيون. وعلى وجه اليقين واجبات المدرسة تتطلب نوعاً من الانتباه يختلف عما تتطلبه مشاهدة التليفزيون، كما أشرح للمعلمين في بعض الأحيان فإنه ليس هناك من يتوقع منهم أن ينافسوا التليفزيون.

ورغم ما سبق إذا كان الأطفال أقل انتباهاً هذه الأيام، فإن هذا السلوك ربما لا يكون له علاقة بقدراتهم على الانتباه، وحتى لو استطعنا أن نثبت -من خلال البحث- أن الأطفال اليوم قد أصبحت قدرتهم على الانتباه أو التركيز أقل مما كانت عليه من قبل، فإن إثبات أن ذلك راجع في أساسه إلى التليفزيون قد يكون من الصعوبة بمكان، وهذه

مشكلة يعاني منها المعلمون لأنها ظاهرة موجودة بالفعل، وإنه لمن الأمور الشائعة في مثل هذه الحالات أن يلقى اللوم على التليفزيون. إن المعلمين الذين يلومون التليفزيون يعتقدون أنهم مواجهون بظروف خارج إرادتهم وبعيداً عن سيطرتهم، ومن هنا يكونون غير قادرين على مواجهة المشكلة الحقيقية وعلى التعامل معها.

همٌّ آخر ومشغلة من هموم والمعلمين وشواغلهم يتعلق بأثر التليفزيون ومشاهدته في التحصيل المدرسي، فمع البدايات المبكرة للخمسينيات ظهرت سلسلة طويلة ومتتابعة من الدراسات التي حاولت أن تستكشف أثر مشاهدة التليفزيون في التحصيل الدراسي، وذلك كما تظهره درجات الطلاب في الامتحانات المقننة التي تعطى لهم.

أما وجهة نظري في نتائج هذه الدراسات فهي أنها ليست بالصورة الرائعة التي تحدث عنها البعض، وربما يكون الأمر الذي يستحق التسجيل هو أنه كيف يمكن تفسير تلك النتائج، وكيف يمكن أن يستفاد منها بطرق مختلفة معتمدين على تحليل النتائج التي يقوم بها مكتب المعلومات الخاص بالتليفزيون Television Information Ofice، أو خدمات

الاختبار التربوية Edicational Testing Service، أو من خلال اللجان الحكومية.

إنه أن يقال إن الأولاد والبنات الذين يشاهدون التليفزيون كثيراً وبصفة منتظمة لا يحصِّلون تحصيلاً دراسياً جيداً مثل الأولاد والبنات الذين يشاهدون التليفزيون بدرجة أقل، يعد قولاً مقبولاً، ولكن أن نعمم حكماً واحداً على الجميع فذلك أمر يصعب قبوله.

وعلى سبيل المثال هل سندهش إذا وجدنا أن الأولاد والبنات الذين يتحدثون على التليفون يومياً ست ساعات يكون تحصيلهم الدراسي أقل من نظرائهم الذين يقضون وقتاً أقل من ذلك في أحاديثهم التليفونية.. ؟

ومن جانبي أعتقد أن معظم التربويين سوف يوافقون على أن مستوى التحصيل الدراسي في هبوط نوعاً ما، ولكن أن نتجه، فوراً وببساطة، لإلقاء اللوم على التليفزيون، أو على الأقل لإلقاء معظم ذلك اللوم عليه، فذلك أمر غير منطقي وغير معقول.

إن الذي أمامنا هو حالة لظاهرة معينة نلاحظها، وهي تحتاج إلى بحث متعمق يصل بها إلى تفسير: إن كثرة

مشاهدة التليفزيون يمكن أن تفسر لنا -جزئياً- تدهور التحصيل الدراسي، بالضبط كما نربط بينها وبين الإفراط في مشاهدة التليفزيون والذي يعد عاملاً مسهماً في عديد من المشكلات الأخرى، داخل المدرسة وخارجها.

وما يعنينا هنا -على أية حال- هم أولئك الأشخاص الذين يعتقدون أننا لو استبعدنا التليفزيون أو ألغيناه كلية من حياتنا فإن هذه المشكلات المعقدة، مثل مستوى التحصيل الدراسي المتدهور، سوف تجد لها حلاً فورياً.. !!

وعلى ذلك قد نسأل هذا السؤال المباشر: ما الذي سيحدث لو أن التليفزيون سُحب فجأة من منازل معظم طلاب المدارس الذين يدمنون مشاهدته.. ؟

- هل سيعاد ترتيب حجرة التليفزيون المخصصة لمشاهدته كي تصبح حجرة تغص بالكتب المعدة للاطلاع والتثقيف.. ؟

- هل ستحل مجلة الجمعية الجغرافية الشهيرة محل مجلة «دليل التليفزيون».. ؟

- هل سنجد أن الآباء الذين فقدوا سيطرتهم على توجيه أبنائهم قد استعادوا هذه السيطرة التي سرقتها منهم محطات

التلفيزيون الرئيسية CBS, NBC, and ABC وتولت السيطرة على عقولهم واتجاهاتهم . . ؟

– وهل بدون التليفزيون يتحول الطلاب المدمنون على مشاهدته إلى طلاب مجدين في تأدية واجباتهم المدرسية، وهل يتجهون بذواتهم إلى النشاطات العقلية وغيرها من أوجه النشاط الأخرى . . ؟

– أم أن الأولاد والبنات الذين سمح لهم بأن يهبوا أنفسهم كلية للتليفزيون سوف يكونون أحراراً في أن يفعلوا الشيء نفسه مرة أخرى . . وباختيارهم هذه المرة . . ؟

– هل يمكننا بأمانة أن نفترض أن الأطفال سيكونون في حالة أفضل، في مدارسهم، بدون التليفزيون . . ؟

– هل من المعقول والمناسب أن نلوم التليفزيون على كل أنواع التدهور الحادثة في المدارس، على الرغم من أن ذلك اللوم قد يريح البعض منا، بل إنهم يرتاحون له ويميلون إليه حقاً . . ؟

إن المعلمين –بالمثل– لديهم هموم كثيرة تتعلق بآثار التليفزيون في أطفال اليوم، وعلى الطريقة التي يفكر بها البنون والبنات، بل على ما يفكرون فيه . وسوف نتعامل مع

هذا الجانب الخاص بأثر التليفزيون في ما يفكر فيه الأطفال في جزء لاحق. أما الآن فسوف نتعامل مع انشغال المعلمين بموضوع الطريقة التي يفكر بها البنون والبنات وأثر التليفزيون فيهم في ذلك.

إن بعض المراقبين يدعون أن التليفزيون، هو في حقيقة الأمر مغير للطريقة التي يفكر بها الأطفال، كما أنه يتدخل في الطرق التي هم قادرون بها على التفكير. كذلك يقول المعلمون: إن أطفال اليوم يفكرون بطريقة مختلفة، وهم لا يخفون انشغالهم بخصوص أن الأطفال أقل قدرة ورغبة في التفكير بالطرق التي تريدها المدرسة.

ولكي نفترض أن التليفزيون قد غير طريقة تفكير الأطفال، ثم غير الطريقة التي كان من الممكن أن يتعلموا بها، لكي نفصل ذلك لا بد أن نفترض أن هناك عدداً من الأسئلة قد أجيب عنها بالقطع.

فمبدئياً، لكي نرى صحة هذه الادعاءات، لا بد أن نكون قادرين على أن نحدد كيف يفكر الأطفال، وكذلك أن نميّز بين طريقة تفكيرهم اليوم، وطريقة تفكيرهم قبل ذلك (أي قبل أن يتعرضوا لتأثيرات التليفزيون)، كما أننا ينبغي أن

نكون قادرين على شرح كيفية تعلم الأطفال، وعلى فهم وتوضيح كيفية حصولهم على المعلومات المحددة الخاصة ببيئاتهم التي يعيشون فيها ويترعرعون.

ولعله يكون من المعقول افتراض أن الإجابة عن كل هذه الأسئلة، وعلى عشرات غيرها تتطلب نظريات متنافسة فيما بينها، فعن تعليم القراءة، على سبيل المثال، نجد أن المربين يحدثوننا عن نظريات تشرح لنا كيف يتمكن الطفل من مجرد القراءة.. ثم كيف يقرأ بعد ذلك بيسر.

إن البحث التربوي قد قدم عدداً من الرؤى الصائبة حول كيفية تعلم الأطفال أثناء نمو تفكيرهم، وكيف أنهم يتعلمون بعض الأشياء، ولكننا ينبغي أن نعترف أننا على وجه اليقين لا زلنا بعيدين عن معرفة كيفية حدوث التفكير ذاته، إني لست واثقاً من أننا نعرف ما ينبغي معرفته، أو ما نود معرفته عن كيفية تعلم الأطفال، وعلى ذلك أنا غير متأكد من أننا كنا نقف على أرض صلبة أم لا، حينما نعمم في موضوع الطريقة التي يفكر بها الأطفال والتي بها يتعلمون.

وأكثر من ذلك وأبعد ما نعرفه عن التفكير والتعلم في حالات الأطفال إنما يعتمد على عدد غير قليل من العوامل

المتداخلة، من أوضحها لنا محتوى ما يتعلمونه ومن يقومون بهذا التعليم.

ومن هذا المنطلق أدعو إلى الحذر من التسليم بأي تأكيدات حول كيفية حدوث أي تغيير في كيفية تفكير الأطفال وتعلمهم بصفة عامة، حتى وإن كانت هذه التأكيدات عالمية الصبغة. إن الجري وراء فكرة حدوث تغيير في تفكير الأطفال وتعلمهم بسبب التليفزيون هو في الواقع أبعد ما يكون عن الإثبات أو التحقق منه بواسطة شواهد علمية، وربما هو أبعد من التفسيرات المنطقية.

وعلى الرغم من كل ما سبق يبدي كثير من المعلمين تخوفهم من أن يكون التليفزيون مفسداً لعقول الشباب الصغار ومضيعاً لهم، ولكني من جانبي أستطيع ادعاء أن جيل الشباب اليوم، أو ما اصطلح على تسميته «بجيل التليفزيون» ليس مختلفاً كثيراً عن ذلك الجيل الذي سبق ظهور التليفزيون أو الأجيال السابقة على ظهوره.

وحتى بعد أن ظهرت بعض التغيرات الواضحة، لا أشعر بالراحة لو نسبتها إلى سبب واحد وأرجعتها إليه، لأن فعل ذلك سوف يدل على قصر في النظر، كما أنه لن يكون

مفيداً في المدى البعيد، والسبب في ذلك هو أنه لو كان أطفال اليوم مختلفين -حقاً- في قدراتهم التفكيرية والتعليمية، أي في قدرتهم على التفكير وعلى التعلم، وإذا كان التليفزيون -حقاً كذلك- هو المسؤول الأول عن ذلك الجانب السلبي، فإننا نكون بعيدين جداً عن البحوث التي ينبغي أن نقوم بها مساعدة للمعلمين في التغلب على هذه الفروق.

إننا نلوم التليفزيون وننسب إليه كل مشكلات التعليم، ونلعن قنواته باستمرار، وبفعلنا ذلك نساعد التربويين على أن يديروا ظهورهم ويغلقوا عقولهم في مواجهة عوامل أخرى كان عليهم أن يتفكروا فيها، وأن يعملوا فيها عقولهم بدرجة أكبر. إننا قد نراجع أنفسنا ذات يوم ونجد أننا كنا مخطئين، وحينئذ قد نكتشف أننا لم نتوصل إلى معرفة أطفالنا المعرفة الكافية التي يتوجب علينا أن نعرفها، وحينئذ سنكتشف حقاً أن معرفتنا بالتليفزيون وأثره في قدرة الأطفال على التعلم والتفكير هي على وجه اليقين أبعد ما تكون عن الحقيقة، وأبعد مما يدعي البعض أنهم يعرفون.

إننا لو لجأنا إلى شيء من التحليل الموضوعي بعقول مفتوحة، فيما يتعلق بأثر التليفزيون في الأطفال، إذا ما فعلنا ذلك حقاً فإننا قد نكتشف -في ذلك اليوم- أن التليفزيون هو جزء من الحلول التي يمكن أن تساعد في حل مشكلة تعلم الأطفال. إننا حين نركز أحاديثنا على الجوانب السلبية فقط للتليفزيون، وحين لا نرى فيه إلا قوة تضعف من تفكيرهم، حين نفعل ذلك -في الواقع- نجهض الفكرة السابقة، أي الاستفادة من التليفزيون عنصراً مساعداً في تعلم الأطفال.